أثر الإسلام في الحياة

ا د قتيبة عباس حمد بحث
الجامعة العراقية كلية التربية للبنات

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه الأخيار يقول القرآن الكريم : (إن الدين عند الله الإسلام) والإسلام كمابين المصحف الشريف هو دين كل الأنبياء والرسل بدءاً بآدم عليه السلام إلى سيد الخلق رسول الرحمة أبي القاسم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، والإسلام هو التسليم لله فهو الخالق القادر المحي المميت وله الأمرُ من قبل ومن بعد ، وكانت العقيدة واحدة ، واختلف الشرائع والأحكام ، وبما ان رسالة الرسول الكريم هي الخاتمة وتمام النعمة فهي تمثل الإسلام في تمامه وكماله.ولقد كان الاسلام دستوراً كاملاً شاملاً يستجيب لكل ما يطرأ على المجتمعات الانسانية من تطور، نظراً لمرونته واتساع آفاقه، فهو يتماشي مع الظروف والزمان والمكان. وفي الإسلام تجد أصول العقيدة والقوانين وأسس العدالة الاجتماعية .ولأن الإسلام أحدث تحولاً جذريا في شتى مجالات الحياة على مستوياتها المختلفة من عقائد وأخلاق وأحكام وتشريع فان أهمية البحث تتجلى في أنه يسعى إلى بيان هذه التحولات الشمولية في مسار البشرية والتي طبعت بطابعها أمماً ومجتمعات تتألف من قوميات متنوعة وطبقات مختلفة رجالاً ونساء ومن أعمار شتى .إن التنوع والشمولية التي تتسم التحولات التي أحدثها الإسلام أقتضت أن يكون هناك منهج للبحث يلتمس هذه التحولات وطبيعتها وميادينها ، ومنهج البحث قام على تعقب التحولات والكشف عن جوانب منها بشكل لا يجعل البحث طويلاً يغرق في تفاصيل تليق بدراسة موسعة .وكانت للبحث خطة جاءت في مبحثين ولكل مبحث مطالب ، وأستند هذا التقسيم إلى الأثر الإسلامي على الصعيدين الفردي والجماعي:فعلى الصعيد الفردي تجلى أثر الإسلام في الشعر الذي هو موهبة فردية بامتياز غير قابلة للنسخ والانتقال، وعلى العقائد التي تتجلى في بداياتها الفردية لتتحول إلى عقيدة اجتماعية . وكذلك أثر الإسلام في الأخلاق ، فالأخلاق سمة فردية ولا يمكن أن تكون هناك قوالب أخلاقية لمجتمع بكامله.أما المبحث الثاني فكان عن أثر الإسلام على الصعيد الجماعي متمثلاً باثر الإسلام في الحياة الاجتماعية وفي الحياة الاقتصادية .

والخطة كانت على وفق التقسيم الآتي:

المبحث الأول: المطلب الأول : اثر الإسلام في الشعر .المطلب الثاني : أثر الإسلام في العقائد .المطلب الثالث: أثر الإسلام الخلقي

المبحث الثاني :المطلب الأول: أثر الإسلام في الحياة الاجتماعية .المطلب الثاني : أثر الإسلام في الحياة الاقتصادية . وبعد هذه المباحث جاءت الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول

المطلب الأول: أثر الإسلام في الشعر

لم يقتصر تأثير الإسلام في فجره الأول على جانب معين في الحياة بل كان التحول والتبدل جذريين في شتى ميادين الحياة السابقة له ومنها كان الأدب ، والشعر منه خاصة.فقد أصاب القصيدة العربيّة بعض التّطوّر والتغيّر في طبيعة الموضوعات وفي المفردات المستعملة وهي إلى حد ما في إستهلال القصائد وعلى الرّغم من أنّها حافظت على أغراض الشّعر التّقليديّة التي لبس بعضها لباساً جديداً.وفي غرض المديح برز ما يسمّى بالمديح النّبويّ على يد حسّان بن ثابت الأنصاريّ في مدح الرّسول الكريم، فقد مدحه بالجمال المطلق والعظمة المتناهية والكمال في الصّفات والبراءة من العيوب، فكأنّه خُلق كما يريد:وأجمل منك لم ترَقطُّ عيني وأعظم منك لم تلدِ النّساءُخُلِقتَ مبرّأً من كلّ عيب كأنّك قد خُلِقتَ كما تشاءُ(١)إن شعر حسّان بن ثابت الذي أظهر أن الرسالة من عند الله وجاءت بالحقّ، وتنفع عند الاختبار لكنّ كفّار قريش رفضوا قبولها ونصرة نبيّها مع أنّ الله يشهد أنّه رسول من قبله:وقال الله قد أرسلتُ عبداًيقول الحقّ إنْ نفع البلاءُشهدتُ به فقوموا صدّقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاءُ(٢)ومن جملة موضوعات القصيدة العربيّة في هذا العصر برز وصف معارك الفتوح وتصوير البطولات الإسلامية ، والافتخار بالشّجاعة وحسن الثبات في المعارك الشّديدة وتصوير هولها، وفي هذا يقول بشر بن ربيعة الخثعميّ ، وينسبها صاحب فتوح البلدان إلى بشر بن ربيعة الخثعمي ، وقد شهد القادسيّة:تذكّر–هداك الله– وقع سيوفنابباب قديسٍ والمكرُّ عسيرُعشية ودَّ القوم لو أنّ بعضهم يعُار جناحيَّ طائرٍ فيطيرُ(٣)وقد اعتمد الفخر في هذا العصر الجديد على القيم الإيجابيّة الموروثة من شجاعة وكرم وعفّة ونصرة للمظلوم، وإغاثة للملهوف، واضيف لها الفخر بالإيمان والحرص على التّقوى والمشاركة في الجهاد والخوف من النّار، يقول النّابغة الجعديّ:أقيم على التّقوى وأرضى بفعلهاوكنت من النّار المخوفة أحذرا(٤)كما افتخر حسان بلسانه الذي كان مثل سيف قاطع لألسنة شعراء قريش وبعظمة شاعريّته التي تشبه بحراً لا تستطيع الدّلاء أن تعكره، فقال:لساني صارمٌ لا عيب فيهِ وبحري لا تكدّرهُ الدِّلاءُوأمّا الفخر الجماعي فقد كان بالإيمان بالله وبالرسّول وبالدّين وبالأمّة التي بدأت تولد؛ فهذا حسّان بن ثابت يفتخر بشجاعة المؤمنين الذين سيشنّون حرباً شديدة على قريش فيقول:عدمْنا خيلنا إن لم ترَوْهاتثير النقع موعدها كداءُ(٥)وأمّا الهجاء فقد استمرّ معتمداً على ذمّ القيم السّلبيّة

كالبخل والجبن، وبالحرمان من القيم الإيجابيّة كالك.وفي حين قلّت الفنون الأدبيّة التي كانت منتشرة قبل الإسلام لكن بعض الفنون الأخرى تطورت وظهرت فنون جديدة، .ودعا الشعراء في شعرهم إلى القيم والمثل الإسلامية. وصور شعر المعارك والفتوحات الإسلامية التي خاضها المسلمون، وبطولات الصحابة الفردية والجماعية ووصف شجاعتهم وثباتهم الشديد وتصوير هول المعارك ، وصور الشعراء في العصر الإسلامي الشجاعة، والكرم، والعفة، وأيضاً للافتخار في الجهاد، والإيمان، والتقوى، والخوف من النار.

المطلب الثاني: أثر الإسلام في العقائد

طرأ الكثير من التغيّرات في حياة العرب مع الإسلام، حيث انتقلوا من الحياة القبلية إلى التوحد في دولة، وكان للشعر والشعراء مكانة كبيرة وانتشار واسع قبل ظهور الإسلام، ولكن مع نزول القرآن ببلاغته وفصاحته الكاملة فقد الشعراء تأثيرهم وانعكس ذلك في الحياة الأدبية للعرب.وكان ظهور الإسلام أعظم حدث في تاريخ العرب، وبداية تحول خطير في حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية، وكان له أكبر الأثر في حياتهم بحيث أدّي إلى انقلاب تام في معالم هذه الحياة، وتبدل في مقاييسها ونُظُمها ومرافقها، كما بدّل من نفسية العربي وشخصيته ونمط تفكيره.وتبدلت المعايير والمقاييس والنظرة إلى الحياة بشتى جوانبها.وقد قضي الإسلام علي الوثنية وأقر التوحيد المطلق لله في الذات والصفات والتوجه له بالعبادة وحده، جاء في القرآن: «وإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الرَّحمنُ الرَّحيم»(٦) الاستقلال والحرية، فليس لأحدٍ عليه سلطان. وصفتي الأنفة والعفّة، من اعتقاده ان لا رزاق إلاّ الله. والشجاعة وعدم هيبة الموت؛ لانّ الذي يملكه هو الله وحده. وبذلك ارتفع إلي العزّة والإباء والاستشهاد في سبيل الحق. وحارب الشرك بالله؛ لأنّه وليد الجهل والوهم «وَمَنْ يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً» .(٧) كما دعا إلى ان وراء هذه الحياة حياة أخرى، يحاسب فيها كلّ انسان علي ما أتي من خير أو شر، فالإنسان يعزّ عليه أن لا ينال الخير أجره، وان لا يلقي الشر جزاءه، والاعتقاد بوجود إله عادل يستتبع حتماً جزاء علي الخير والشر، فان لم يتم العدل في عالم الأرض فلابدّ أن يتم هناك في عالم آخر. «أَفَحَسِبْتُم أَنّما خَلَقْناكُم عَبَثاً وأَنَّكُم إلينا لا تُرْجَعُون »(٨) و«للهِ ما في السَّمواتِ وما في الأَرْضِ، وإِنْ تُبْدُوا ما في أَنْفُسِكُم أو تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُم بِهِ اللهُ ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعذِّبُ مَنْ يَشاءُ، واللهُ علي كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ(٩)» إن الايمان بالملائكة يوجب الاعتقاد بأنّ للإنسان حياة روحية، وأنّه يجب عليه تنشيط هذه الحياة، والغرض من ذلك التسامي بالإنسان والرقي به الي أعلي درجات الكمال. ولهذا جعل الاسلام الايمان بالملائكة ركيزة من ركائز الدين. قال الله تعالي: «آمَنَ الرّسُولُ بما أُنْزِلَ اليهِ مِن ربِّه والمؤمنُونَ، كُلٌّ آمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ ». كما أوجب الإيمان بالقرآن الكريم وبما سبقه من الكتب التي أنزلت على رسُل الأُمم الماضية في صورتها الحقيقية، والاعتقاد ببعثة الرسل وتصديقهم، ووجوب الاقتداء بهم في سيرهم. وهي ميزة اختص بها الإسلام؛ وكان غايته بيان إن الدين هو واحد هو التسليم لله وإنْ اختلفت الشرائع ، ووضع أساساً للتعارف والإخاء والوحدة بين شعوب الأرض، والاعتقاد بخاتم هؤلاء الرسل محمّد صلي الله عليه و آله وسلم وان رسالته الي الناس كافة والي جميع شعوب الارض «قُلْ يا أيُّها الناسُ إنّي رَسُولُ اللهِ إليكُم جَميعاً » وجعلها الله خاتمة جميع الرسالات السابقة، وناسخة لما تقدم منها، ومكملة ومتممة للأديان السابقة. «اليومَ أكملتُ لكم دينكُمْ وأتْمَمْتُ عليكُم نِعْمَتي وَرَضِيتُ لكُمُ الإسلامَ دِيناً وفرض الإسلام علي معتنقيه عبادات جديدة ربطت بين قلوبهم ووحَّدت صفوفهم، كالصلاة والصيام والزكاة والحجّ.فالصلاة هي التي تمد الجماعة الانسانية بالقوى الروحية التي لابدّ منها لصلاح المجتمع، وتخلق في الإنسان عقيدة اطاعة أوامر الله وتدعوه إلى التماس العون من الله. اضافة إلى وقوف المسلمين دون فارق او تمييز يؤدون حركات واحدة ويبتهلون ابتهالات واحدة متجهين إلى قبلة واحدة. وفي رمضان يؤدي المسلمون فريضة الصوم بما فيها من صفاء للنفوس وتطهير للقلوب، فهي طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس وتقوية الإرادة، وعلاج نافع لكثير من الأمراض النفسية والاجتماعية بالإضافة إلى ما فيه من الفوائد الصحية. وهم يؤدون الزكاة التي تجعل للفقير حقاً معلوماً في أموال الاغنياء؛ ليكون ضماناً اجتماعياً ثمرته حفظ التوازن بين طبقات الأمة. (١٠)وفي الحج يجتمع المسلمون من كل حدب وصوب في بيت الله تأكيداً علي عمق إيمانهم ورسوخ عقيدتهم، وسعياً للرحمة والغفران والحج مؤتمر عام لتوحيد غايات المسلمين وتوجيههم إلي مصادر الحياة الصحيحة بما يقتبسه بعض شعوبهم من ثقافات البعض الآخر، ووسيلة لتحقيق الفوائد الروحية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية (١١)وقرر الإسلام ان لا قيمة لإنسان إلاّ بما يعمله، وان الإيمان المصحوب بالعمل الصالح وسيلة إلي النعيم الدنيوي والأخروي «من عَمِلَ صالحاً من ذَكَرٍ أو أُنْثي وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طيّبةً وَلَنَجْزِيَنَّهُم أَجْرَهُم بأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» . كما ان ليس خير الناس أكثرهم مالاً ولا أعزّهم نفراً «إنَّ أكرمَكُم عِنْدَ اللهِ أتْقاكُم » وبأكرمكم هنا من الكرامة. وكان لهذه العقائد والتعاليم الجديدة أثرها الواضح في رفع المستوي العقلي للعرب، فتغيرت قيمة الاشياء والاخلاق في نظرهم ، فارتفعت قيمة أشياء وانخفضت قيم أخرى، وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس.وحارب الإسلام كثيرا من الخرافات والاوهام

كالعرافة والقيافة والكهانة والزجر والصدي والهامة والرَّتَم والتعشير وما إلى ذلك. ودعا النّاس إلي التفكير المنطقي والتأمل العقلي وطلب العلم والمعرفة، فقد أُتيح للعقل في الإسلام مجال واسع للنظر في سرّ الوجود وإدراك حقيقته وماهيته، وقد حثت آيات كثيرة على تأمل خلق السموات والأرض وما بينهما من كواكب وأفلاك وغير ذلك، ودعت الإنسان ليتفكر في تعاقب اللّيل والنهار والشمس والقمر. قال تعالى: «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا في مَلَكُوتِ السَموات والأَرْضِ، وَما خَلقَ اللهُ مِنْ شيءٍ وأَنْ عَسي أَنْ يَكُونَ قَد اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فبأيّ حديث بَعْدَهُ يُؤمِنُونَ » .كما حث على تحكيم العقل في كل ما يعرض للإنسان من أمور، وقد ذكر القرآن العقل باسمه وأفعاله زهاء خمسين مرة، وذكر كلمة «أُولو الألباب» أي أصحاب العقول في بضع عشرة مرة، وذكر «العلم» في مواضع من آياته تناهز المائة وذكر مشتقاته أضعاف ذلك. (١٢)والإسلام حضّ علي العلم؛ لأنّه يعلم أن الشخصية الإنسانية لا يقومها ولا يرقيها ويشحذ قواها إلاّ العلم، ومن هنا كان تفريقه بين العلماء وغيرهم. قال سبحانه: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذينَ يَعْلَمُونَ والذينَ لا يعلمُونَ إنّما يَتَذّكرُ أولُوا الألبابِ» ، ولا ريب في ان العلماء هم أكثر الناس فهماً لآلاء الله ووعياً لحكمة آياته وتمثلاً لبديع قدرته: وأمر عباده المسلمين بأن يتقيدوا بالأسس العلمية ولا يتوهمون ويظنون كالدهريين والجاهليين .وحارب الإسلام بكل قوة ذلك الانسياق الأعمى، وشدّد النكير علي الذين كانوا يتمسكون بالرأي، لا لانّهم عقلوه؛ بل لأنهم ورثوه، ،ونهي أيضاً عن التقيّد بوجهة نظر واحدة، وذلك بدعوته للأخذ بالأحسن، وهي نزعة جديدة في الإخلاص للحقائق لم تتجلّ علي أكمل حالاتها .(١٣)ويطلب الإسلام البحث عن البرهان وقبول الدليل وتغيير الرأي دون حرج متى يتبين ان غيره أصحّ منه. وجعل من أهملوا استخدام عقولهم في الدنيا «كالأنعام بَلْ هُمْ أضلُّ سَبِيلاً.. » ولذا يقول في الآخرة بعضهم لبعض «لَوْ كُنّا نَسْمَعُ أو نَعْقِلُ ما كُنَّا في أصحابِ السَّعير» .وأعدّ للعلماء ميزات خاصة ومنزلة لا تضاهيها الاّ منزلة المؤمنين «يرفَع اللهُ الذينَ آمَنُوا مِنْكُم والذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ» . كما ان الله اعتد بشهادة أهل العلم على وحدانيته فقال: «شَهِدَ اللهُ أنّهُ لا إله إلاّ هُوَ والملائِكَةُ وأُوْلُو العِلْمِ قائماً بالقِسْطِ.» . كما جعل الإسلام قداسة العلم مضارعة لقداسة العبادة؛ لأنّه يعتبر العلم في ذاته من أسمى العبادات وكذلك جعل مداد العلم يوازي دم الشهادة. وكذلك فرّق الإسلام بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية التي ليس لها قيمة إلاّ ان تكون للزينة فقط، ودعا إلى نبذ لغو الحديث الذي يضل الناس بغير علم ، وقال في سورة المؤمنون ، الآية الثانية (والذين هم عن اللغو معرضون)إن العلم حياة القلوب ونور الابصار من العمي وقوة الأبدان من الضعف، وينزل الله حامله منازل الاحياء، ويمنحه مجالسة الأبرار في الدنيا والآخرة، وبالعلم يطاع الله ويُعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحد، وبه توصل الأرحام ويتعرف الحلال والحرام"، و " طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة"، و "من سلك طريقاً فيه علم سلك الله به طريقاً إلى الجنة "، و " اطلب العلم من المهد إلى اللحد"، و " العلم زينة أمام الاصدقاء وسلاح أمام الأعداء. (١٤)كما بين الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فضائله حيث قال: «ان العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأُذنه الفهم، ولسانه الصدق، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الاشياء والأُمور، ويده الرّحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته التورع، ومستقرهُ النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسبقه الرضا، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، وماؤه الموادة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار»، ويقول عليه السلام: «محبة العلم دين يدان به يكسب الإنسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته»، فكان في التعليم ما يحث على العطف والتحاب والتعاون والتآخي والرحمة، فاكتسبوا الرقّة في القلوب واطّرحوا خشونتهم وتركوا العنجهية والفخر الجاهليين.

المطلب الثالث: الأثر الخلقي

للعرب صفات خلقية كالكرم والشجاعة، والتضحية ورفض الضيم وحماية الجار وغيرها، الاّ أنّها باتت تضعف وتتغير معاييرها الأساسية عندما تغلبت العصبية والتناحر فيما بينهم، وما نتج عنه من سلب ونهب واغارة وابتزاز ؛ وذلك لظروفهم الاقتصادية وخضوع حياتهم لناموس تنازع البقاء .(١٥لقد وضع الدين الجديد معطيات جديدة وأسساً متكاملة؛ حيث وضع للأخلاق مثلاً عليا تخالف الجاهلية، فكان من أهم أهدافه التأكيد على المبادئ الاخلاقية التي تحلي بها العرب قبل الإسلام بشرط أن تكون حميً للعقيدة وحصناً للحق، وظهيراً للخير، ووسيلة إلي نصرة المظلوم، ونجدة المهضوم، وإنصاف الضعفاء، ونفع الناس، ولا يرتضي أن تتخذ وسائل للعدوان، أو مظاهر للاستعلاء، أو دعائم للإفساد في الارض وإذلال الضعفاء.(١٦فمثلا كان الكرم خلقاً فاضلاً في الحياة الجاهلية، طالما باهى به المفتخرون وأشاد به المادحين، وكان البخل رذيلة طالما هجا بها الشعراء، وبرئ منها الاسخياء، ولكن كرم العرب في الجاهلية كان من املاء البيئة وسيلة من وسائل الفخار والكلف بحسن الاحدوثة. أمّا الكرم الذي دعا إليه الإسلام فإنّه كان مظهراً لسخاء النفس وكرم اليد ورحمة القلب وابتغاء ثواب الله، ومبعثه أن المال مال الله، وأن صاحبه خليفة عليه موقوت، لابدّ أن يتركه لسواه، وأن هذا المال ليس حقاً لمالكه وحده، بل له شركاء

فيه من الفقراء والمساكين وغيرهم، وغاية هذا الكرم ليست أبهة أو مباهاة أو سيادة او عطفاً مشوباً برياء، بل القربى إلي الله والشوق إلى ثوابه. ولهذا حضّ الإسلام علي البذل، وآثر أن يكون بعض البذل في خفاء.(١٧وكانت الشجاعة في الجاهلية تبرر عدوان الاقوياء على الضعفاء، وطالما خايل العرب بقوتهم وبغلبتهم على غيرهم، وبعدوان القادرين على من هم أقل منهم مقدرة. فلما جاء الإسلام وجّه الشجاعة إلي نصرة الحق وحماية الدين، ونجدة المظلومين المضطهدين، فارتفع بدلالتها عن العدوان إلي الجهاد.(١٨)ومن الفضائل التي أراد بها الإسلام إحكام ما بين الإنسان والخلق، وإحكام ما بين الإنسان وخالقه، هي التقوى والتي جعلها المحور لكل الصفات الخيّرة، والفضيلة التي تدور الفضائل كلها في فلكها الرحيب، ولهذا وصف الله المتقين بأنّهم الذين تحلوا بالفضائل الإنسانية الحقّة ولا تقتصر التقوى في القرآن علي هذه الصفات، بل يضاف إليها الصفات التالية: فالعدل من التقوى. قال الله تعالى: «اعدِلُوا هُوَ أقَربُ للتقوى.» . والعفو من التقوى أيضاً، قال الله تعالى: «وأنْ تَعْفُوا أقربُ للتقوى.» . والصدق في قوله تعالى: «يا أيُّها الذينَ آمنُوا اتقُوا اللهَ وكُونُوا معَ الصادقينَ»والأمانة فرع من التقوى، قال تعالى: «فليؤد الذي اؤتمن أمانته، وليتق الله ربّه.» . وإصلاح ذات البيت مرتبط بها في قوله تعالى: «فاتّقُوا اللهَ واصلحُوا ذاتَ بينكم.» . والكسب الحلال متصل بها في قوله تعالى: «يا أيُّها الذين آمنُوا اتّقُوا اللهَ ، وذَرُوا ما بَقيَ مِنَ الرِّبا » وهكذا عشرات الخصال الحميدة إنّما هي وليدة التقوى.(١٩)وما من شك في انّ الذي يتقي ربه يحبه ويطيعه ويعمل ما يستحق فأنه ينال ثواباً من الله ، ويكف عما ينزل به عقابه، فيحيا في طهارة نفس، وصلاح عمل، وثراء من الخير والحق، وينفر من كل شر، ويبتعد عن كل رذيلة ونقيصة. ولن يكون التقي إلاّ كريماً شجاعاً عادلاً أميناً عفيفاً صادقاً وفياً رحيماً غيوراً متحلياً بكل فضيلة، مبرأ من الجبن والبخل والفجور والغدر والكذب ومن كل رذيلة.لقد أنشأ الإسلام صرحاً متيناً من معالي الاخلاق والمثل العليا كان لها الاثر البارز في بناء صرح حضارة عريقة، ولها الدور الكبير في صياغة شخصية الإنسان المسلم العربي، وقد تجسد كل ذلك تجسيداً حيّاً لكل تلك القيم والمثل الحقّة في الرسول الكريم صلي الله عليه و آله وسلم ومن بعده الائمة المعصومين الأبرار، فكانوا ثروة هائلة من الفضائل والقيم العليا، وقمة سامية من مكارم الأخلاق؛ حيث تحول المجتمع الجاهلي من خلالهم إلي مجتمع حضاري، وبني جيلاً مؤمناً رسالياً من الأبطال والقادة الذين امتلكوا زمام الإنبعاث والبناء والتحرر، فكانوا عماد القوة الكبري التي اندفعت في الأرض ترفع راية الإسلام، وتعلن اسمه وتمدّ نفوذه من حدود الصين إلي حدود فرنسا، وتنشر تلك الروح في نفوس شعوب البلدان المفتوحة.

المبحث الثاني

المطلب الأول : أثر الإسلام في الحياة الاجتماعية

نفى الإسلام رابطة المجتمع القبلي القائمة علي الدم والنسب، وأحلّ محلّها رابطة الإيمان والاشتراك في الدين الواحد، كما جعل المسلمين سواسية فأكرمهم عند الله أتقاهم. لقد اعتنى الإسلام في بناء المجتمع وتنظيمه، فوضع له القواعد المحكمة التي توطّد الصلة بين أفراده على أساس من المودة والرحمة والتعاون. كما اهتم الإسلام بالدعامة الاولي للمجتمع (وهي الاسرة) التي من شأنها أن تؤدي إلي صلاح البناء كله، أي المجتمع باسره.(٢٠)وبعد تنظيم هذه الدائرة الضيقة انتقل الإسلام إلي تنظيم دائرة اوسع، وهي دائرة الاقارب وذوي الأرحام، يهدف من وراء ذلك الي ان يكون الذين يمت بعضهم الي بعض بأواصر الابوة أو الأخوة أو المصاهرة، متعاونين متواسين متضامنين فيما بينهم، على أساس من البر والاحسان والتعاطف والمودة. وبعد دائرة القرابة نظم الإسلام آصرة الجوار على صورة واسعة، فجعل للجار حقوقاً كثيرة، وأوصي بمراعاة حرمة الجوار.وبعد هذه الدوائر المتقاربة تجيء دائرة العلاقات الكبري التي تجمع الامة كلها، وقد أحكم الإسلام تنظيمها في القرآن والحديث، ووضع لها مجموعة من القواعد الاخلاقية السامية التي يؤدي اتباعها الي صلاح أحوال المجتمع ونهضته ورفعته.(٢١)فأسس مجتمعاً توثقت فيه الروابط، وحدّدت فيه الحقوق والواجبات، ووضع الاسلام له دستوراً عاماً للعبادات والمعاملات والجنايات والأحوال الشخصية. وأقام اهدافاً عليا لصيانة المجتمع الاسلامي، وهي ثابتة لا تتغير ولا تتطور.وشرّع كثيراً من الشرائع الاجتماعية التي تزيد في وحدة المجتمع الاسلامي وقوته، كالزكاة والصدقة والاحسان وصلاة الجماعة والحجّ، وحرم الاعتداء على اموال الناس واعراضهم ودمائهم وحرياتهم، وحارب الرذائل الاجتماعية والعادات الفاسدة والخرافات الكاذبة، وعصبية الجاهلية، واستبدل بها دعوة الدين.وعالج حرية المرأة وفق روحه الدينية بقصد صيانتها ورفع شأنها من ذي قبل، واعاد لها كرامتها وصحح النظرة اليها، حاسماً كل جدل وكل تساؤل، معتبراً ان المرأة كائن انساني له روح انسانية كالرجل سواء بسواء، وأنّها نواة البشرية. (٢٢)وعلي ضوء ذلك اعطى الاسلام المرأة حقاً كاملاً غير مقيد بغير ما حرم الله ورسوله في جميع التصرفات المدنية والاقتصادية والشخصية، فلها الحق والاهلية لحيازة المال مهما عظم مقداره، ولها حق الإرث والهبة والوظيفة والدين وتملك العقار والكسب والتجارة والتقاضي والمصالحة والتصرف فيما تحوز وتملك

من مال أياً كان نوعه، اتفاقاً وبيعاً وعتقاً وهبة ووصية كما نص القرآن الكريم نصاً صريحاً علي حق المرأة في اختيار شريك حياتها (الزوج)، ومساواتها له في الحقوق والواجبات (57)وحقّها في الطلاق متي توافرت ظروفه، كما أعطاها الدين الاسلامي حق التعليم وطلبه والسعي لتحصيله، مثلها في ذلك مثل الرجل كما حث القرآن الكريم المرأة والرجل على العمل، ولم يفرق بينهما، كل وما يخصه وحسب مقدرته وذلك في قوله تعالي: «وقل اعملوا فَسَيَرَي اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولَهُ والمُؤْمِنُونَ « فخصص الرجل بمسؤوليات فردية تثقل كاهله كالأنفاق علي المرأة ورعايتها والدفاع عنها، وترك لها إدارة شؤون البيت وتربية الاطفال وغير ذلك من ضرورات الحياة.فرفع الاسلام من مستوى المرأة، ووهبها من القوة والنشاط ما هيأها لتسير نحو المثل العليا، وتكون في طليعة المربيات الناجحات في الحياة، مرتكزة في ذلك على دينها القويم وايمانها العظيم كما حثها على طلب العلم والمعرفة ونظم الامور.(٢٣)ودعا الي تحرير الرقيق وحذر من اساءة معاملتهم، وفتح أبواباً كثيرة لتحريرهم، فكثر العتق واستقامت معاملة الرقيق في رفق الإسلام ورحمته، وقد اعطي مثلاً عملياً الرسول الامين عليه السلام حين آخي بين عمّه حمزة وزيد مولاه، وحين زوج زيداً ابنة عمته زينب.واعتبر الإسلام وحدة الجنس أساس الوحدة الإنسانية، فلم يعرف مجتمع الإسلام مفهوم العنصرية والقومية، بل صهر الاسلام ذلك كله وأقام منهجه الخالص، فارتقي الفرد وانتظمت شؤون الاسرة، واسست الجماعة علي قواعد صالحة تتضمن بقاءها ورقيها، واقيم مجتمع ذو دعائم متينة من الحب والاخاء والمساواة والتكافل الاجتماعي والرحمة والبر، حتي لكأنّهم اسرة واحدة محيت بين أفرادها كل الفوارق القبلية والجنسية، وفوارق الشرف والسيادة الجاهلية.(٢٤)

المطلب الثاني : أثر الإسلام على الحياة الاقتصادية

ارتكز النظام الاقتصادي في الاسلام علي أصلين أساسين:الأوّل: هو الاعتراف بمواهب الفرد وحقّه المقدس في ثمار عمله وكفاحه، والسماح له بحرية ضمن إطار القيم المعنوية والخلقية التي يؤمن بها الاسلام، ولم يكن ذلك التحديد تحديداً للحرية في الحقيقة، وإنّما هو عملية انشاء للمحتوي الداخلي للإنسان الحر انشاءً معنوياً صالحاً، حيث تؤدي تلك الحرية في ظله رسالتها الصحيحة. فكان دوره الإيجابي الفعال في ضمان اعمال البر والخير التي تتمثل في اقدام المسلمين بملء حريتهم المتبلورة في إطار ذلك التحديد علي دفع الزكاة وغيرها من حقوق الله، والاسهام في تحقيق مفاهيم الإسلام في العدل الاجتماعي.الثاني: تقرير حق المجتمع في كسب الفرد، ووجوب التضامن والتكافل الاجتماعي بين ابناء الامة، فوضعت الشريعة مبدأ اشراف ولي الأمر على النشاط العام، وتدخل الدولة لحماية المصالح العامة وحراستها.كما حرمت ممارسة مجموعة من النشاطات الاقتصادية والاجتماعية المعيقة عن تحقيق المثل والقيم التي يتبناها الإسلام، كالربا والاحتكار وغير ذلك. ومن المزج بين هذين الاصلين خرج الاسلام علي الناس بنظام خاص به يسمو على كل الانظمة التي سبقته والانظمة التي تلته.(٢٥)وبهذا النظام الاجتماعي والاقتصادي السليم الحكيم يتم دعم نظام الحكم في الاسلام، ويمكنه في يسر من تحقيق أهدافه وتثبيت أركانه وأدي هذا كله الي استقرار أحوال الدول في ظل الحرية والاخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية.وعلي الرغم من أنّ غالبية العرب في الجزيرة العربية اعتمدوا في حياتهم على تربية المواشي والاغنام والتجارة في عهد النبي صلي الله عليه وآله وسلم، ورغم أنّ المسلمين كانوا منهمكين في تعلم مبادئ الدين وفي توطيد الاسلام في نواحي الجزيرة وفي الدفاع عن حياتهم وعقيدتهم، فانّهم لم يهملوا زراعتهم، وكان الرسول صلي الله عليه وآله وسلم يشجع الزراعة ويقطع الاراضي غير المزروعة لمن يتعهدها بالري والاستثمار، ويدعو الي (احياء الموات) وهو ما يعرف حديثاً بالإصلاح الزراعي.

الخاتمة

وفي أدناه أهم نتائج البحث :

- إن الإسلام جاء بمفاهيم جديدة تتناسب ونظمه الشاملة فالأمة هي الأمة الإسلامية مهما كانت عناصرها التي تتشكل منها ففيها العربي وغير العربي ، فبلال كان حبشياً ، وصهيب كان رومياً، وسلمان كان فارسياً ، ولا يهم اللون ذلك إن أكرمكم عند الله أتقاكم.
- سعى الإسلام إلى تحرير العبيد وإلغاء الرق تدريجياً ، وهو بذلك غير الواقع الاجتماعي والواقع الاقتصادي فقد كان هذا الأخير قائم على ثلاث محاور منها أن تكون الحرف والمهن من نصيب البعد الذي يكدح لصالح سيده الذي يملكه.
- أرسى الإسلام أسساً جديدة في التعامل مع المرأة.
- حرر الإسلام المجتمعات من قيود الجهل ودعا إلى أكتساب العلم .
- دعا الإسلام أن يكون للشعر والأدب وظيفة إجتماعية نافعة وأن لا يكون مصدراً للغواية.
- احترم الاسلام الملكية الفردية وحث أبناء المجتمع على التعاون على البر والتقوى وتجنب الصراع والتنافر

المصادر

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البر(ت٤٦٣هـ) ، دار الجيل ، بيروت، (د.ت).
- الإسلام في عصر العلم : محمد أحمد الغمراوي، بيروت، ١٩٩٨م.
- الإسلام والشعر : د.سامي مكي العاني ، بحث منشور في مجلة عالم المعرفة، الكويت .
- الإسلام وضرورات الحياة ، عبدالله أحمد قادري، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٠م:٩٨.
- الاقتصاد الإسلامي : محمد سحنون، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- الاقتصاد الإسلامي: ابراهيم فاضل الدبو، دار المناهج، الأردن ، ٢٠٠٨م.
- الحياة الأدبية ما بين الجاهلية والإسلام : سعيد حسين منصور، مصر، دار المعارف، ١٩٩٠م.
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق: وليد عرفات ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق: وليد عرفات ، دار صادر ،
- عصر النبوة: عبد الحكيم الكعبي، دار اسامة ، بيروت، ١٩٩٠م.
- فتوح البلدان : أحمد بن يحيى ، البلاذري(ت٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت– لبنان، ١٩٨٨م.
- القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع : محمد أمين الحق ، بحث منشور في الجامعة الإسلامية، شيتاغوغ ، المجلد التاسع، ٢٠١٢م.
- القيم الإسلامية والتربية: علي خليل مصطفى، دار طيبة ، بيروت، ١٩٨٠م.
- المرأة في الإسلام : د. ليلى حسن سعد الدين، دار الفكر، بيروت –لبنان، ١٩٩٠م.
- المرأة في الإسلام: محمد الغزالي، د.محمد سيد طنطاوي، مصر، دار الثقافة، ١٩٩٥م.
- مظاهر الحياة في العصر الجاهلي: ميادة نصار وسوسن قاسم ، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني mawdoo3.com
- منهج الإسلام في بناء الفرد والمجتمع : صبحي الصالحي، دار المعارف، مصر، (د.ت).

هوامش البحث

- (١) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق: وليد عرفات ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق: وليد عرفات ، دار صادر ، (د.ت): ٧٨
- (٢) المصدر نفسه : ٧٨
- (٣) فتوح البلدان : أحمد بن يحيى ، البلاذري(ت٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت– لبنان، ١٩٨٨م:١/١٥٠.
- (٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البر(ت٤٦٣هـ) ، دار الجيل ، بيروت، (د.ت): ١٥١٧/٤.
- (٥) ديوان حسان بن ثابت : ٩٨.
- (٦) سورة البقرة : ١٦٣.
- (٧) سورة المؤمنون : ١١٥.
- (٨) سورة البقرة: ٢٤٨.
- (٩) سورة البقرة: ٢٤٨.
- (١٠) ينظر: الإسلام والشعر : د.سامي مكي العاني ، بحث منشور في مجلة عالم المعرفة، الكويت : ١١٥.
- (١١) ينظر: الحياة الأدبية ما بين الجاهلية والإسلام : سعيد حسين منصور، مصر، دار المعارف، ١٩٩٠م:٧٨.
- (١٢) ينظر: عصر النبوة: عبد الحكيم الكعبي، دار اسامة ، بيروت، ١٩٩٠م:٨٧.
- (١٣) ينظر: الإسلام وضرورات الحياة ، عبدالله أحمد قادري، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٠م:٩٨.
- (١٤) ينظر: الإسلام في عصر العلم : محمد أحمد الغمراوي، بيروت، ١٩٩٨م:٧٨.
- (١٥) ينظر: الإسلام والعلم: ٩٧.
- (١٦) المصدر نفسه .

- (١٧) ينظر: مظاهر الحياة في العصر الجاهلي: ميادة نصار وسوسن قاسم ، مقالة منشورة على الموقع الالكتروني mawdoo3.com
- (١٨) المصدر نفسه .
- (١٩) القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع : محمد أمين الحق ، بحث منشور في الجامعة الإسلامية، شيتاغوغ ، المجلد التاسع، ٢٠١٢، ٣٣٦.
- (٢٠) ينظر: القيم الإسلامية والتربية: علي خليل مصطفى، دار طيبة ، بيروت، ١٩٨٠م:٣٤؟
- (٢١) ينظر: منهج الإسلام في بناء الفرد والمجتمع : صبحي الصالحي، دار المعارف، مصر، (د.ت): ١٠٨.
- (٢٢) ينظر: المرأة في الإسلام: محمد الغزالي، د.محمد سيد طنطاوي، مصر، دار الثقافة، ١٩٩٥م:٨٥.
- (٢٣) ينظر: المرأة في الإسلام : د. ليلى حسن سعد الدين، دار الفكر، بيروت –لبنان، ١٩٩٠م:٨٥.
- (٢٤) ينظر: الاقتصاد الإسلامي: ابراهيم فاضل الدبو، دار المناهج، الأردن ، ٢٠٠٨م:٤٧.
- (٢٥) ينظر: الاقتصاد الإسلامي : محمد سحنون، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٦م:٢٧.